

في معنى الأذوة



الأحد 16 أكتوبر 2022 10:15 ص

قال عطاء بن أبي رباح: «تفقدوا إخوانكم بعد ثلاث، فإن كانوا مرضى فعودوهم، أو مشاغيل فأعينوهم، أو نسوا فذكروهم».

تفقدوا إخوانكم قبل أن تفقدوهم، فمنهم المريض، ومنهم الشريد، ومنهم صاحب الدين، ومنهم من لا يجد عملاً، ومنهم من عنده الهموم والأوجاع.

تفقدوهم ولو بكلمة، ربما تكون سبباً في تخفيف ألم أحدهم أو تشد من أزره أو تكون سبباً في رفع الكرب عنه.

تأمل حديث النبي ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى».

ومن الوظائف الأساسية للمربي على طريق الدعوة؛ أن يتفقد إخوانه فرداً فرداً، وأن يسعى بمصالحهم، ويتأمل كل شأن من شئونهم بلا تبرم، وبكل حب وسرور. وليضع نصب عينيه دائماً توجيه الإمام البنا: «وللقيادة في دعوة الإخوان حق الوالد بالرابطة القلبية، والأسناد بالإفادة العلمية، والشيخ بالتربية الروحية، والقائد بحكم السياسة العامة للدعوة، ودعوتنا تجمع هذه المعاني جميعاً». رسالة التعاليم.

تدبر حال صحبك

يقول ابن عطاء السكندري - رحمه الله: «اعلم أن المجانسة تكون بالمجالسة إن جلست مع المسرور سُررت، وإن رافقت الغافلين عقلت وإن جلست مع الذاكرين لله ذكرت. فتبصر أمرك وتدبر حال صحبك، وإن وفقك الله إلى ضحية طيبة فأكثر من شكر الله على هذه النعمة العظيمة، ولا تصاحب من لا يدللك على الله».

حال الإمام حسن البنا بين إخوانه

ولنتأمل كيف كان حال الداعية المربي المصلح حسن البنا بين إخوانه ومحبيه: يحكى (الأستاذ أحمد عادل كمال) أحد رجال الدعوة الذين عاصروا وعاشوا الإمام حسن البنا فيقول عنه: «حضرت معي في ثلاث سنوات ثلاثين كتيبة، وكان يصلي بنا الجمع، ويخطب العيدين، ويقوم بنا التراويح في رمضان، ويعقد بين الإخوان عند زواجهم،

ويستقبل مواليدهم، ويسميهم ويدعو لهم، يتعهد المنقطع، ويتفقد الغائب، ويعود المريض، ويمشي في جنازتهم، ويحضر كتائبهم، ويبيت في معسكراتهم، لا يتخلف عن اجتماعاتهم إلا لعذر قاهر، يؤثرهم بمودته ومساعدته دائماً، وكنا نبادله الحب من أعماق قلوبنا».

تركته حتى يأتيني يمدّ يديّ:

يُروى أن أحد الدعاة والمربين، طرقت بابه يوماً أحد إخوانه ومريديه، فلما أدخله وجلسا، قال له أخوه المترابي: «لم أدفع المصروفات الدراسية لأولادي، والمدرسة تطالبني بالسداد، فجتتكَ أسأل إن كان متاحاً لديك ما أقترضه على أن أردّه عاجلاً حين تيسر أموري»، فتأثر المربي بالموقف، فدخل وأحضر المبلغ المطلوب، وأعطاه لأخيه الذي أخذه ممتنّاً ثم انصرف، وبعد انصرافه دخل صاحب البيت غرفته وأجهش في البكاء.

فلما رآه زوجه في هذه الحالة سألته: «ما يبكيك وقد فعلت خيراً بعونك لأخيك وقضاء حاجته؟»، فقال لها زوجها (المربي): «أبكي على تقصيري في حق أخي، فقد كان أولى به أن أقوم بواجب المسؤولية نحوه وأنفقد حاله، وأحافظ على ماء وجهه، ولا أتركه يأتي ويمد يده ويسألني حاجته».

وختاماً:

والنفقد له معنى شامل، فلا يقتصر على تفقد المربي لإخوانه في أمورهم الحيوية والمعيشية، ولكن المعنى يتسع فيشمل تفقد أحوالهم الدراسية إن كانوا طلاباً، وتفقد أحوالهم العبادية من باب التذكير والتنبيه والتعاون على طاعة الله، لا من باب المراقبة والمحاسبة والبحث عن القصور والتقصير، فلا مانع من المعاونة على أمر العبادة، فقد كان ﷺ يتفقد صحابته في أمور العبادات والطاعات، فيسأل: «من منكم أصبح صائماً؟»، «من منكم تصدق اليوم بصدقة؟»، «من منكم زار مريضاً اليوم؟». وهكذا في تفقده لأحوال صحابته. وكذلك نراه ﷺ يسأل حارثة، «كيف أصبحت يا حارثة؟» وهكذا، مما يدل على أن التفقد ومتابعة الأحوال هدي نبوي وسلوك تربيوي.

ومن الجوانب التي يشملها التفقد أيضاً أحوال البيت المسلم، وكيف ننهض به، وأحوال الأولاد الدراسية والصحية، ومدى تفاعلهم مع برامج وأنشطة الدعوة. هذا كله إلى جانب متابعة أحوال الأخ الدعوية وواجباته الحركية ليطمئن المربي على أخيه، ويعينه في حاله إذا تطلب الأمر.

